

الرجاء

عناصر الموضوع

٨	مفهوم الرجاء
٩	الرجاء في الاستعمال القرآني
١٠	الألفاظ ذات الصلة
١٢	الرجاء في حق المؤمنين
٢٤	الرجاء في حق الكافرين
٢٧	أساليب القرآن في الحديث عن الرجاء
٣٢	وسائل تحقيق المرجو
٣٥	آثار الرجاء

مفهوم الرجاء

أولاً: المعنى اللغوي:

أصل مادة (رجا) تدل على الأمل^(١).

وهو نقيض اليأس، يقال: رجا يرجو (٢).

وقد يجيب الرجاء بمعنى: الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿مَالِكٌ لَا تَزْحُمُ لِلَّهِ فَمَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي: تخافون عظمة الله (٣).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

قال الراغب: الرجاء: ظنّ يقتضي حصول ما فيه مسرّة (٤).

وعرفه الكفوي بأنه: الطمع فيما يمكن حصوله، ويرادفه الأمل^(٥).

وعرفه الجرجاني بأنه: تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل^(٦).

وبناءً عليه فمعنى الرجاء اصطلاحاً لا يختلف عن معناه لغةً.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤٩٤/٢.

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ١١/ ١٢٤.

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري ٦/ ٢٣٥٢.

(٤) المفردات، ص ٣٤٦.

(٥) الكليات ص ٤٦٨.

(٦) التعريفات ص ١٠٩.

الرجاء في الاستعمال القرآني

وردت مادة (رجا) في القرآن الكريم (٢٨) مرة، يخص موضوع البحث منها (٢٣) مرة^(١). والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	٢١	﴿وَرَجُّونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]
فعل الأمر	١	﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]
اسم مفعول	١	﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢]

وجاء الرجاء في القرآن على وجهين^(٢):

أحدهما: الأمل والطمع: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. أي: يأملون ويطمعون في رحمته وجنته^(٣).

الثاني: الخوف: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧] يعني: لا يخافون لقاءنا يوم القيامة، فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبا: ٢٧] أي: لا يخافون حسابًا. وعند التأمل نجد أن لفظة الرجاء من الأضداد^(٥)، فتستعمل بمعنى الأمل والطمع، وبمعنى الخوف، وقرينة السياق تدل على المعنى المطلوب.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٣٠٤.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، مقاتل بن سليمان ص ١٧٧، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ص ٣٠٨، الوجوه والنظائر، الدامغاني ص ٢٢٧-٢٢٩.

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني ١/ ٢٥١.

(٤) جامع البيان، الطبري ١٢/ ١٢١.

(٥) انظر: الأضداد، ابن الأنباري ص ٩.

الألفاظ ذات الصلة

١ الأمل:

الأمل لغة:

تدل مادة (أمل) على معنيين رئيسيين، أحدهما: الثبوت والانتظار^(١)، ومنه: الأمل، بمعنى: الرجاء، فتقول: أملت أؤمله تأميلاً، وأملت أمله أملاً وإملةً على بناء جلسة^(٢). ومنه: التأمل، أي: الثبوت في النظر^(٣).

الأمل اصطلاحاً:

عرفه المناوي بقوله: الأمل: توقع حصول الشيء، وأكثر ما يستعمل فيما يبعد حصوله، فمن عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول: أملت الوصول، ولا يقول: طمعت إلا إن قرب منها، فإن الطمع ليس إلا في القريب^(٤).

الصلة بين الرجاء والأمل:

الرجاء والأمل لفظان متقاربان في المعنى، حيث يعرف أهل اللغة الرجاء بالأمل، والأمل بالرجاء، إلا أن المتأمل في معنهما في كتب اللغة يجد فرقاً طفيفاً بينهما، وهو أن الرجاء أكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله، بينما الأمل أكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله.

وقيل: الأمل: أكد من الرجاء؛ لأن الرجاء معه خوف؛ فلذلك جاء بمعنى خاف نحو: ﴿لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]^(٥).

٢ التمني:

التمني لغة:

تدل مادة (مني) على تقدير شيء، ونفاذ القضاء به، منه قولهم: منى له الماني، أي: قدر المقدر، وتمني الإنسان: أمل يقدره^(٦).
والتمني نوع من الطلب إلا أن الطلب يكون باللسان، والتمني شيء يهجس في القلب

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ١٤٠.

(٢) العين، الخليل بن أحمد ٨/ ٣٤٧.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ١٤٠.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٦٢.

(٥) المصدر السابق ص ١٧٤.

(٦) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٢٧٦-٢٧٧.

يقدره المتمني^(١).

التمني اصطلاحاً:

التمني: طلب حصول الشيء، سواء كان ممكناً أو ممتنعاً^(٢).

الصلة بين الرجاء والتمني:

الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز، والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه^(٣).

٣ الخوف:

الخوف لغة:

الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفرع^(٤).

الخوف اصطلاحاً:

«خلاف الأمن، والأمن سكون النفس، والخوف من انزعاجها وقلقها»^(٥).

وقال التفتازاني: «غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من سوء»^(٦).

الصلة بين الرجاء والخوف:

الخوف هو توقع حلول مكروه، أو فوت محبوب، والرجاء عكسه، توقع حصول محبوب، وهما قرناء لا ينفع أحدهما إلا بوجود الآخر، وهما من أركان العبادة التي لا تتم إلا باجتماعهما مع الحب^(٧).

(١) الكليات، الكفوي ص ٤٦٨.

(٢) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ٦٦، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ١٠٩.

(٣) الروح، ابن القيم ص ٢٤٥.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٣٠.

(٥) الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري، ص ٢٠٣.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ١٦١.

(٧) الكليات ص ٤٦٨.

الرجاء في حق المؤمنين

الرجاء في الله تعالى، وفيما عنده من العبادات القلبية العظيمة.

وقد ذكر القرآن الكريم أن المؤمنين هم أهل الرجاء، وأهل حسن الظن بالله، الذين جمعوا بين حسن العمل، وحسن الرجاء، إذ الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله، ورجا ثوابه، أو تاب من معصيته، ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمنٍ مذموم.

ومن صور الرجاء التي أثنى الله بها على المؤمنين:

أولاً: رجاء لقاء الله:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥] وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ [الحج: ١١٠].

فالمؤمن يرجو لقاء الله.

واختلف المفسرون في المراد بلقاء الله، على أقوال:

الأول: أن المراد بلقاء الله: رؤيته سبحانه وتعالى، فالمؤمن يرجو رؤية الله؛ ولهذا يعمل الأعمال الصالحة من أجل أن ينعم بهذه الرؤية، لعل هذا العمل الصالح يكون سبباً في رؤية الله جل وعلا.

الثاني: أن لقاء الله: ثوابه، فالمؤمن يرجو ثواب الله بعمله، ويخشى عقاب الله بعمله، فهو يصلي ويقرأ القرآن ويصوم، ويعمل الأعمال الصالحة من أجل حصول الثواب، والابتعاد عن العقاب.

الثالث: أن لقاء الله هو يوم القيامة.

وقد جمع هذه الأقوال كلها وغيرها أبو السعود، حيث قال: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾، أي: يتوقع ملاقة جزائه ثواباً أو عقاباً، أو ملاقة حكمه يوم القيامة.

وقيل: يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة.

وقيل: يرجو ثوابه.

وقيل: يخاف عقابه.

وقيل: لقاءه تعالى عبارة عن الوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء.

على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل، وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر، فإما أن يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من أفعاله، أو بضده لما سخطه، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾، أي: فإن الوقت الذي عينه تعالى لذلك ﴿لَاتٍ﴾ لا محالة من غير صارف يلويه، ولا عاطف يشنيه؛ لأن أجزاء الزمان على التقضي والنصرم دائماً، فلا بد من إتيان ذلك الجزاء أيضاً ألبتة، وإتيان وقته موجب لإتيان اللقاء حتماً، والجواب محذوف، أي: فليختر

وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقاءه، وسر نحوه، مستصحباً الرجاء، مؤملاً الوصول إليه، ولكن ما كل من يدعي يعطى بدعواه، ولا كل من تمنى يعطى ما تمناه، فإن الله سميع للأصوات، عليم بالنيات، فمن كان صادقاً في ذلك أناله ما يرجو، ومن كان كاذباً لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومن لا يصلح^(٥).

ولما كان المؤمنون هم الذين يرجون لقاء الله، ويشتاقون له، ويعملون له، أخبر الله عن المشركين أنهم على الضد من ذلك فهم لا يرجون لقاء الله، أي: لا ينتظرون هذا اللقاء، ولا يحسبون حسابه، ولا يقيمون حياتهم وتصرفاتهم على أساسه، ومن ثم لا تستشعر قلوبهم وقار الله وهيبته وجلاله، فتنتقل ألسنتهم بكلمات وتصورات لا تصدر عن قلب يرجو لقاء الله.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]، فقد كانوا يستبعدون أن يكون الرسول بشراً، وكانوا يطلبون، لكي يؤمنوا بالعقيدة التي يدعوهم إليها أن تنزل عليهم الملائكة تشهد بها، أو أن يروا الله سبحانه وتعالى فيصدقوا، وهو تطاول على مقام الله سبحانه، تطاول الجاهل المستهتر الذي لا

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٢٦.

من الأعمال ما يؤدي إلى حسن الثواب؛ وليحذر ما يسوقه إلى سوء العذاب، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى، وقيل: فليبادر إلى ما يحقق أمله، ويصدق رجاءه، أو ما يوجب القربة والزلفى^(١).

والمقصود: أن المؤمنين يرجون لقاء الله، فيعملون لهذا اللقاء، ويستعدون له، بعكس المنكر للقاء الله، الغافل عنه. وقد اختلف في تفسير الرجاء على قولين:

ف قيل: الرجاء: بمعنى الطمع والأمل، قاله سعيد ابن جبير^(٢).

قال الزجاج: معنى من كان يرجو لقاء الله: من كان يرجو ثواب لقاء الله، أي: ثواب المصير إليه، فالرجاء على هذا: معناه: الأمل^(٣).

وقيل: الرجاء: بمعنى الخوف. قال القرطبي: «وأجمع أهل التفسير على أن المعنى: من كان يخاف الموت^(٤)».

وقال السعدي: «يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقاءه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت،

(١) إرشاد العقل السليم، ٧/ ٣٠.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٢٢٢.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٢٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٣/ ٣٢٧.

يحس جلال الله في نفسه، ولا يقدر الله حق قدره^(١).

وقال ابن عاشور: ورجاء لقاء الله: ظن وقوع الحضور لحساب الله...، ولقاء الله: الحشر للجزاء؛ لأن الناس يتلقون خطاب الله المتعلق بهم، لهم أو عليهم، مباشرة بدون واسطة...، وعبر بفعل الرجاء عن تقرب البعث؛ لأن الكلام مسوق للمؤمنين وهم ممن يرجو لقاء الله؛ لأنهم يترقبون البعث لما يأملون من الخيرات فيه^(٢).

والخلاصة: أن هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥] فيها حث الإنسان على أن يكون راجياً في ثواب المصير إلى الله تعالى، فالرجاء سبب من الأسباب التي ينال بها العبد ما عند الله، من مغفرة ذنوبه، وهدايته، وتوفيقه، وإعانتة على طاعته، ودخوله الجنة، ونجاته من النار، فالرجاء هو قطب الرحي الذي يدور عليه صلاح العبادة. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع، وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن

الأعمال في بحر الإرادات»^(٣).

ولا يقال: إن الرجاء اعتراض من العبد على ما سبق به حكم الله، فليس الأمر كذلك، بل إنما هو تعلق بما سبق به الحكم، فإن العبد إنما يرجو فضلاً وإحساناً ورحمةً سبق بها القضاء والقدر، وجعل الرجاء أسباب حصولها، فليس الرجاء اعتراضاً على القدر، بل هو طلب لما سبق به قدر الله.

وقد ذم الله الكافرين الذين لا يرجون لقاءه، ورضوا بالحياة الزائلة، واطمأنوا إليها، فقد حكم لهم بأن مأواهم النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس: ٧-٨].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وهذه الآية توضح لنا أن العبد إذا كان يرجو لقاء الله صادقاً مخلصاً في ذلك، فإن عاقبة ذلك ونتيجته يؤديان به إلى إصلاح عمله.

فهذه الآية فيها إشارة قاطعة إلى أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل. ورجاء العبد لقاء ربه الذي خلقه هو

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٥٥٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠/ ٢٠٨.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤٣.

ومعنى: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، أي: وارجوا بعبادتكم إياي جزاء اليوم الآخر، وذلك يوم القيامة^(٢).

قال أبو السعود: «معنى: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، أي: توقعوه، وما سيقع فيه من فنون الأهوال، وافعلوا اليوم من الأعمال ما تأمنون غائلته»^(٣).

والمراد باليوم الآخر: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام، وقيل: وارجوا يوم الموت؛ لأنه آخر عمرهم^(٤).

وإنما عبر شعيب عليه السلام بلفظ الرجاء؛ لأن عبادة الله يرجى منها الخير في الدارين كما سبق.

والرجاء: الترقب واعتقاد الوقوع في المستقبل، وأمره إياهم بترقب اليوم الآخر يدل على أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث^(٥).

ورجاء اليوم الآخر كفيل بتحويلهم عما كانوا يرجونه في هذه الحياة الدنيا من الكسب المادي الحرام، بالتطفيف في الكيل والميزان، وغصب المارين بطريقهم للتجارة، وبخس الناس أشياءهم، والإفساد في الأرض، والاستطالة على الخلق^(٦).

من أفضل ما يرجوه العبد المؤمن ويأمله، قال العلامة ابن القيم: «رجاء أرباب القلوب، وهو رجاء لقاء الخالق الباعث على الاشتياق، المبغض المنغص للعيش، المزهده في الخلق، هذا الرجاء أفضل أنواع الرجاء وأعلاها، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْكَالِمُ﴾ [العنكبوت: ٥]، وهذا الرجاء هو محض الإيمان وزيدته، وإليه شخصت أبصار المشتاقين؛ ولذلك سلاهم الله تعالى بإتيان أجل لقاءه، وضرب لهم أجلاً يسكن نفوسهم ويطمئنها»^(١).

ثانياً: رجاء اليوم الآخر:

ومما ينبغي أن يرجوه المؤمن اليوم الآخر.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ فَقَالْ يَنْقُومِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [المتحنة: ٦].

(١) المصدر السابق ٥٤/٢.

(٢) جامع البيان، الطبري ٣٤/٢٠.

(٣) إرشاد العقل السليم ٣٩/٧.

(٤) روح البيان، إسماعيل حقي ٤٦٨/٦.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٤٧/٢٠.

(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٧٣٤/٥.

ثالثاً: رجاء رحمة الله:

ومن أعظم ما يرجوه المؤمن رحمة الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فهذه الآية بينت أن من صفات المؤمنين أنهم يرجون رحمة الله، بمعنى: أنهم يطمعون في رحمة الله، ويرجون أن يدخلهم الجنة برحمته إياهم، وفضله عليهم.

عن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال: «أثنى الله على أصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾» هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون، وأنه من رجاء طلب، ومن خاف هرب»^(١).

والناظر لأول وهلة في هذه الآية يظن أن فيها رجاء وترغيباً، لكن المتدبر والمتأمل يجد العكس، وهو أن فيها تخويفاً وترهيباً، حيث جعل الله تعالى رحمته لمن تحققت فيه هذه الأوصاف (الإيمان، والهجرة، والجهاد) وهي ثقيلة على النفس.

وهذه الأوصاف الثلاثة لأولئك المقربين الصديقين:

أولها: أنهم آمنوا، والإيمان تصديق للحق، وإذعان لحكمه، وتنفيذ لأوامره، وإخلاص في القلب، ونور في البصيرة، وذلك وحده كاف للجزاء، إن قام المؤمن به، وحقق لوازمه وخواصه، وصار شعاره ومظهره، وسريته وحقيقته.

وثانيها: الهجرة، فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾، وكرر الموصول هنا للإشارة إلى أن الهجرة وحدها عمل زائد على الإيمان يستحق وحده الثواب؛ لأنه ترك للمال والأهل، وطلب للعة، وإعزاز الدين، بدل البقاء في الذلة والرضا بحياة المستضعفين، وقد أمر الله بالهجرة عند الاستضعاف، ونهى عن البقاء تحت نير غير المسلمين.

ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [١٧] إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَمْتَدُونَ سَبِيلًا [١٨] فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا [١٩] وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [٢٠] [النساء: ٩٧-١٠٠].

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٣٨٨.

أما الرحمة التي هي وصفه، فهي شيء آخر، فالآية محتملة للمعنيين، وكلاهما متلازمان؛ لأن الله إذا رحم عبداً أدخله الجنة التي هي رحمته^(٤).

فيكون في قوله: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ قولان:

الأول: أن المراد منه الرجاء، وهو عبارة عن ظن المنافع التي يتوقعها، وأراد تعالى في هذا الموضع أنهم يطمعون في ثواب الله؛ وذلك لأن عبد الله بن جحش -الذي نزلت فيه هذه الآية-^(٥) ما كان قاطعاً بالفوز والثواب في عمله، بل كان يتوقعه ويرجوه. فإن قيل: لم جعل الوعد مطلقاً بالرجاء، ولم يقع به كما في سائر الآيات؟

قال الراغب: قلنا: الجواب من وجوه: أحدها: أن مذهبنا أن الثواب على الإيمان، والعمل غير واجب عقلاً، بل بحكم الوعد، فلذلك علقه بالرجاء. وثانيها: هب أنه واجب عقلاً بحكم الوعد، ولكنه تعلق بأن لا يكفر بعد ذلك، وهذا الشرط مشكوك فيه لا متيقن، فلا جرم كان الحاصل هو الرجاء لا القطع.

وثالثها: أن المذكور هنا هو الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله، ولا بد

(٤) تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، الفاتحة والبقرة ٦٤/٣.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ١/١٨٧، تفسير ابن أبي حاتم ٢/٣٨٨.

وثالثها: الجهاد في سبيل الله تعالى، وهو باب الجنة، وهو رهبانية هذه الأمة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن طلب منه الوصية: (وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام)^(١).

ولقد بين سبحانه جزاءهم، فقال: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾، أي: إن أولئك المتصفين بهذه الصفات ليس من شأنهم أن يخافوا العذاب لخطأ غير مقصود في الجهاد، بل إنهم يرجون الرحمة والثواب^(٢). والمراد برحمة الله ها هنا:

يحتمل أن تكون الرحمة التي هي صفته، أي: أن يرحمهم. ويحتمل أن يكون المراد ما كان من آثار رحمته.

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى قال للجنة: (أنت رحمتي أرحم بك من أشاء)^(٣)، فجعل المخلوق رحمة له؛ لأنه من آثار رحمة الله؛ ولهذا قال: (أرحم بك).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٩٧/١٨، رقم ١١٧٧٤.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٤٩٨/١، رقم ٢٥٤٣.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة ٢/٦٩٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْكُمْ زَكِيٌّ﴾، ١٣٨/٦، رقم ٤٨٥٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ٢١٨٦/٤، رقم ٢٨٤٦.

للإنسان مع ذلك من سائر الأعمال، وهو أن يرجو أن يوفقه الله لها، كما وفقه لهذه الثلاثة، فلا جرم علقه على الرجاء.

ورابعها: ليس المراد من الآية أن الله شكك العبد في هذه المغفرة، بل المراد وصفهم بأنهم يفارقون الدنيا مع الهجرة والجهد مستقصرين أنفسهم في حق الله تعالى، يرون أنهم لم يعبدوه حق عبادته، ولم يقضوا ما يلزمهم في نصرته دينه، فيقدمون على الله مع الخوف والرجاء، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ رَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

القول الثاني: أن المراد من الرجاء: القطع واليقين في أصل الثواب، والظن إنما دخل في كميته وفي وقته، وفيه وجوه قررناها في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْظُنُونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

وفي الآية دلالة على أن الذي يحق رجاؤه يعمل ما ذكر الله، ومن وصل إلى ذلك فحق له أن يرجو رحمته، فإن قيل: الإنسان راج لرحمة الله وإن لم يبلغ هذه المنازل!

قيل: إن الذي نسميه رجاءً لن لم يبلغ مثل هذه المنازل فهو تمن على الله، المعني بقوله عليه السلام: (والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني)^(١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٥٠/٢٨، رقم ١٧١٢٣، والترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، ٦٣٨/٤، رقم

أو رجاءً لتفصيل غير مستحق، وما ذكره الله عز وجل ها هنا هو الرجاء المستحق الذي وصف به المؤمنين في غير موضع، نحو قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

إن قيل: لم ذكر المؤمنين برجاء الرحمة وهي لهم لا محالة؟

قيل: المؤمن وإن بذل الجهد في طاعته فواجب أن يكون بين نظرين: نظر إلى سعة رحمة الله عز وجل، ونظر إلى ما عسى أن يقع، أو وقع منه من ذنب فينتج له خوفاً^(٢).

ونظير الآية السابقة: قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]^(٣).

فـ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ، ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ صفة، أي: يدعونهم آلهة، أو يعبدونهم، والخبر ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾، يعني: أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة، وهي القرية إلى الله عز وجل، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم من عباد

٢٤٥٩، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ١٤٢٣/٢، رقم ٤٢٦٠. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ص ٦٢٥، رقم ٤٣٠٥.

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ١/٤٤٩.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٦/٣٩٥.

الله فكيف يزعمون أنهم آلهة^(١).

وقال الطبري: «قوله: ﴿وَيَرْجُونَ﴾، أي: بأفعالهم تلك»^(٢).

والمقصود: أن من صفات هؤلاء المؤمنين أنهم يرجون رحمة الله تعالى على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم.

فأثبت لهم الرجاء إشعارًا بأن العمل غير موجب، ولا قاطع في الدلالة، سيما والعبرة بالخواتيم^(٣).

قال القاسمي: «ولنما ثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر، وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه، لا لأن في فوزهم اشتباهاً»^(٤).

فوضع الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله موضع الرجاء من رحمة الله، ولم يعطهم الثواب والمغفرة والرضوان على القطع والتحقيق؛ وذلك ليقمهم من هذا الرجاء على عمل دائم، وجهاد متصل، وهذا على خلاف ما إذا سوى حسابهم بعد الهجرة، وبعد كل موقف من مواقف الجهاد، فقد يقعد بهم هذا عن أن يضيفوا جديدًا، أو يخفوا للجهاد مرة بعد مرة.

ثم إنه من جهة أخرى يرى الذين

آمنوا -مجرد إيمان- ولم يهاجروا ولم يجاهدوا- يريهم شناعة موقفهم، ومغبة تقصيرهم بتخلفهم عن ركب المهاجرين والمجاهدين، ويرفع لأعينهم بعد ما بينهم وبين مواقع رحمة الله ورضوانه؛ إذ يرون المهاجرين المجاهدين، ولما يلمسوا بأيديهم مواقع الرحمة والرضوان، وأنهم ما زالوا على رجاء! فكيف بالذين آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا؟ إن المدى بعيد بينهم وبين أن يصلوا إلى جانب الأمن والسلامة، وإن عليهم أن يحثوا المطي إلى ميدان الهجرة والجهاد، ليلحقوا بركب المهاجرين المجاهدين، وليكونوا بمعرض من رحمة الله ورضوانه!^(٥).

ورجاء المؤمن في رحمة الله لا يخيبه الله أبدًا، ولقد سمع أولئك النفر المخلص من المؤمنين المهاجرين هذا الوعد الحق، فجاهدوا وصبروا، حتى حقق الله لهم وعده بالنصر، أو الشهادة، وكلاهما خير، وكلاهما رحمة، وفازوا بمغفرة الله ورحمته^(٦).

رابعًا: رجاء ثواب الله:

ومن أنواع الرجاء المذكورة في القرآن رجاء ثواب الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهْوَئُوا فِي آيَاتِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا

(١) مدارك التنزيل، السفي ٢/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) جامع البيان ١٤/ ٦٢٧.

(٣) أنوار التنزيل، البيضاوي ١/ ١٣٧.

(٤) محاسن التأويل ٢/ ١٠٩.

(٥) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ١/ ٢٤٢.

(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٢٢٨.

تَأْمُونٌ وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ [النساء: ١٠٤].

فقوله: **﴿وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾**، قال مقاتل: يعني: من الثواب والأجر^(١).

وقال البغوي: **﴿وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾**، أي: وأنتم مع ذلك تأملون من الأجر والثواب في الآخرة، والنصر في الدنيا ما لا يرجون.

وقال بعض المفسرين: المراد بالرجاء الخوف؛ لأن كل راج خائف أن لا يدركه مأموله، ومعنى الآية: وترجون من الله، أي: تخافون من الله، أي: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون، قال الفراء رحمه الله: ولا يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجذ، كقوله تعالى: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾** [الجاثية: ١٤]، أي: لا يخافون، وقال الله تعالى: **﴿تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾** [نوح: ١٣].

أي: لا تخافون لله عظمة، ولا يجوز رجوتك بمعنى: خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك^(٢).

قال في البحر: **﴿وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾**، هذه تسلية منه تعالى للمؤمنين، والتأسي فيه أعظم مسلاة^(٣).

ولفظ الثواب لا يستعمل في الأغلب إلا

في الخير، ويجوز أيضًا استعماله في الشر؛ لأنه مأخوذ من قولهم: ثاب إليه عقله، أي: رجع إليه، قال الله تعالى: **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾** [البقرة: ١٢٥].

وأصل الثواب كل ما يعود إلى الفاعل من جزاء فعله، سواء كان خيرًا أو شرًا، إلا أنه بحسب العرف اختص لفظ الثواب بالخير، فإن حملنا لفظ الثواب ها هنا على أصل اللغة استقام الكلام، وإن حملناه على مقتضى العرف كان ذلك واردًا على سبيل التهكم، كما يقال: تحيتك الضرب، وعتابك السيف، أي: جعل الغم مكان ما يرجون من الثواب، قال الله تعالى: **﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [التوبة: ٣٤]^(٤).

وفى جعل رجاء المؤمنين من الله في قوله تعالى: **﴿وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ﴾** إشعار للمؤمنين بأنهم في جانب الله تعالى، وأن رجاءهم عنده، وهو يجيب رجاء المؤمن ودعائه، ويؤيده بنصره: **﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْمُهَيِّزِ الْكَاسِمِ﴾** [آل عمران: ١٢٦].

وليس للمشركين من يرجون إلا أن يكون أصنامًا لا تضر ولا تنفع!

وإذا كان الرجاء من الله فهو رجاء من العليم بكل شيء، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، وينصر من ينصره بحكمته؛ ولذا قال سبحانه: **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**،

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٩/ ٣٩٠.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٤٠٤.

(٢) معالم النزيل، البغوي ١/ ٦٩٨.

(٣) البحر المحیط، أبو حيان ٣/ ٣٥٣.

تفسد، وهي تجارة الجنة، يعملون للجنة، ولهذا قال: ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾، ثوابهم في الجنة، ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٠]، أي: يضاعف لهم الثواب، قال الحسن: تضاعف لهم الحسنات، يثابون عليها في الجنة^(٤).

فهؤلاء الذين يكثرون من قراءة القرآن الكريم، ويؤدون ما أوجبه الله تعالى عليهم، يرجون من الله تعالى الثواب الجزيل، والربح الدائم؛ لأنهم جمعوا في طاعتهم له تعالى بين الإكثار من ذكره، وبين العبادات البدنية والمالية.

قال الرازي: «وقوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ بَحْرَةَ لَّنْ تَكُونُ﴾ إشارة إلى الإخلاص، أي: ينفقون لا ليقال: إنه كريم، ولا لشيء من الأشياء، غير وجه الله، فإن غير الله باثر، والتاجر فيه تجارته باثرة^(٥).

ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [٢٨] ذكر ما يوجب الخوف والرجاء، فكونه عزيزاً ذا انتقام يوجب الخوف التام، وكونه غفوراً لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ^(٦).

والمقصود: أن المؤمنين يرجون بأعمالهم وعباداتهم ثواب الله، وأجره في الآخرة.

أي: ثبت وتقرر أن العلم والحكمة من أسماء الله تعالى الحسنى^(١).

وفي الآية رد على من يقول: لا يصح أن يعبد الله رجاء الثواب، فإن هذه عبادة التجار، وإنما يعبد الله لذاته حباً فيه.

قال القاسمي: «وتدل على أن للمجاهد أن يجاهد لطلب الثواب؛ لقوله: ﴿وَرَجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، فجعل هذا سبباً باعثاً على الجهاد، هذا معنى كلام الحاكم، ونظير هذا: لو صلى لطلب الثواب أو السلامة من العقاب، وقد ذكر في ذلك خلاف، فعن الراضي بالله: يجزي ذلك، وقواه الفقيه يحيى بن أحمد، وعن أبي مضر: لا يجزي؛ لأنه لم ينو الوجه الذي شرع الواجب له^(٢).

ونظير الآيتين السابقتين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ بَحْرَةَ لَّنْ تَكُونُ﴾ [فاطر: ٢٩].

قال السمعاني: «قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ بَحْرَةَ لَّنْ تَكُونُ﴾، أي: لن تهلك، ولن تفسد، والمراد من التجارة: ما وعده الله من الثواب^(٣).

وقال يحيى بن سلام في تفسيره: «قوله: ﴿يَرْجُونَ بَحْرَةَ لَّنْ تَكُونُ﴾، أي: لن

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة ٤/ ١٨٣٧.

(٢) محاسن التأويل ٣/ ٣١٨.

(٣) تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٣٥٧.

(٤) تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٧٨٧.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/ ٢٣٧.

(٦) المصدر السابق ٢٦/ ٢٣٦.

خامساً: رجاء نصر الله وتأنيده:

ومما يدل على ذلك قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

فالرجاء هنا كما يحمل على رجاء الثواب والأجر، يحمل أيضًا على رجاء النصر والظفر من العدو، قال الخازن: «يعني وتأملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون، وقيل: ترجون النصر والظفر في الدنيا، وإظهار دينكم على الأديان كلها»^(١). وقال المراغي: ﴿وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من ظهور دينكم الحق على سائر الأديان الباطلة^(٢).

سادساً: رجاء أيام الله:

ومن أنواع الرجاء المذكورة في القرآن رجاء أيام الله.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّيْنِ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤].

قال مقاتل بن سليمان: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، يعني: لا يخشون عقوبات الله، مثل عذاب الأمم الخالية^(٣).

وقال السعدي: «الذين لا يرجون أيام

الله أي: لا يرجون ثوابه، ولا يخافون وقائعه في العاصين، فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون، فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم وصفحكم وصبركم، ثوابًا جزيلًا، وهم إن استمروا على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد والخزي»^(٤).

والذين لا يرجون أيام الله يراد بهم المشركون من أهل مكة، والرجاء: ترقب وتطلب الأمر المحبوب، وهذا أشهر إطلاقاته، وهو الظاهر في هذه الآية.

والأيام: جمع يوم، وهذا الجمع أو مفردة إذا أضيف إلى اسم أحد أو قوم أو قبيلة كان المراد به اليوم الذي حصل فيه لمن أضيف هو إليه نصر وغلب على معاند أو مقاتل، ومنه أطلق على أيام القتال المشهورة بين قبائل العرب: أيام العرب، أي: التي كان فيها قتال بين قبائل منهم، فانتصر بعضهم على بعض، كما يقال: أيام عبس، وأيام داحس والغبراء، وأيام البسوس، فإذا قالوا: أيام بني فلان، أرادوا الأيام التي انتصر فيها من أضيفت الأيام إلى اسمه، ويقولون: أيام بني فلان على بني فلان، فيريدون أن المجرور بحرف الاستعلاء مغلوب لتضمن لفظ أيام أو (يوم) معنى الانتصار والغلب، وبذلك التضمن كان المجرور متعلقًا بلفظ

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٧٦.

(١) لباب التأويل، الخازن ١/ ٤٢٣.

(٢) تفسير المراغي ٥/ ١٤٥.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٨٣٧.

بانكبابهم على عبادة الأصنام دون عبادة الله، ويأتي في هذا الوجه من التعريض والتحريض مثل ما ذكر في الوجه الأول؛ لأن المؤمنين هم الذين يرجون نعمة الله،

وفسر به قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١].

وقوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

فيكون المراد بـ ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ اللَّهُ﴾ أيام جزائه في الآخرة؛ لأنها أيام ظهور حكمه وعزته، فهي تقارب الأيام بالمعنى الأول، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ [النبا: ٣٩]، أي: ذلك يوم النصر الذي يحق أن يطلق عليه (يوم)، فيكون معنى هذه الآية: أنهم لا يخافون تمكن الله من عقابهم لأنهم لا يؤمنون بالبعث.

ومعنى الآية^(١): أن المؤمنين أمروا بالعفو عن أذى المشركين، وقد تكرر ذلك في القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلْتَسْمَعْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْرِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد في هذه الآية: وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٥ / ٣٤٠.

أيام أو (يوم)، وإن كان جامداً فمعنى أيام الله على هذا هو من قبيل قولهم: أيام بني فلان، فيحصل من محمل الرجاء على ظاهر استعماله.

ومحمل أيام الله على محمل أمثاله أن معنى الآية للذين لا تترقب نفوسهم أيام نصر الله، أي: نصر الله لهم؛ إما لأنهم لا يتوكلون على الله، ولا يستنصرونه، بل توجههم إلى الأصنام، وإما لأنهم لا يخطر ببالهم إلا أنهم منصورون بحولهم وقوتهم فلا يخطر ببالهم سؤال نصر الله، أو رجاؤه، وهم معروفون بهذه الصلة بين المسلمين، فلذلك أجريت عليهم هنا وعرفوا بها، وأوثر تعريفهم بهذه الصلة ليكون في ذلك تعريض بأن الله ينصر الذين يرجون أيام نصره وهم المؤمنون، والغرض من هذا التعريض الإيماء بالموصول إلى وجه أمر المؤمنين أن يغفروا للمشركين، ويصفحوا عن أذى المشركين، ولا يتكلفوا الانتصار لأنفسهم لأن الله ضمن لهم النصر.

وقد يطلق أيام الله في القرآن على الأيام التي حصل فيها فضله ونعمته على قوم، وهو أحد تفسيرين؛ لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ يَأْتِيَنَّكُمْ اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٥].

ومعنى لا يرجون أيام الله على هذا التأويل: أنهم في شغل عن ترقب نعم الله بما هم فيه من إسناد فعل الخير إلى أصنامهم

الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى^(١).

الرجاء في حق الكافرين

أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم لا يرجون الله، ولا يرجون اليوم الآخر، ولا يرجون ثواباً ولا حساباً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾^(٢) [النبأ: ٢٧].

وهذا شأنهم في الحياة الدنيا؛ ولهذا لم يعملوا ليوم القيامة، ولم يوقروا الله، وأهملوا العمل للآخرة.

قال ابن الجوزي: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾^(٣)، فيه قولان:

أحدهما: لا يخافون أن يحاسبوا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الجمهور.

والثاني: لا يرجون ثواب حساب؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الزجاج^(٤).

واختار السمعاني الأول حيث قال: «قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾^(٥)، أي: لا يخافون، وقد بينا الرجاء بمعنى الخوف فيما سبق^(٦).

وقال مقاتل: «يعني: أنهم كانوا لا يخافون من العذاب أن يحاسبوا بأعمالهم الخبيثة إذا عملوها»^(٧).

وقال ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾^(٨)، قال: «لا يؤمنون بالبعث

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والمشركين أذى كثيراً)، ٣٩/٦، رقم ٤٥٦٦.

(٢) انظر: زاد المسير ٣٩٠/٤.

(٣) تفسير القرآن، السمعاني ١٤٠/٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٥٦٣/٤.

يسقط ما كان حقاً لغيره عليه، فلا جرم كان جانب الرجاء أقوى في الحساب؛ فلهذا السبب ذكر الرجاء، ولم يذكر الخوف^(٢).

والمقصود: أن الله تعالى أخبر عن الكفار في عدة آيات أنهم لا يرجون لقاءه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَيْنَا عَنْقَلُونَ﴾ [يونس: ٧].

قال السعدي: «أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤمنون، بل أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدلاً عن الآخرة»^(٣).

وقال الله في آية أخرى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، فلماذا لا يرجون لقاء الله؟ لأن الذي يرجو لقاء الله هو من أعد نفسه لهذا اللقاء؛ ليستقبل ثواب الله، لكن الذي لم يفعل أشياء تؤهله إلى ثواب الله، وعمل أشياء تؤهله إلى عقاب الله فكيف له أن يرجو لقاء الله؟ إنه لا يرجو ذلك.

وعلى سبيل المثال: إن الرجل الذي يستشهد، ويقدم نفسه للشهادة، ونفسه هي أعز شيء عنده، إنما يفعل ذلك لوثوقه بأن ما يستقبله بالاستشهاد خير مما يتركه من

ولا بالحساب، وكيف يرجو الحساب من لا يوقن أنه يحيا، ولا يوقن بالبعث^(١).

فإن قيل: الحساب شيء شاق على الإنسان، والشيء الشاق لا يقال فيه: إنه يرجو، بل يجب أن يقال: إنهم كانوا لا يخشون حساباً.

والجواب: من وجوه:

أحدها: قال مقاتل وكثير من المفسرين قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾، معناه: لا يخافون، ونظيره قولهم في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

وثانيها: أن المؤمن لا بد وأن يرجو رحمة الله؛ لأنه قاطع بأن ثواب إيمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر، فقولهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، إشارة إلى أنهم ما كانوا مؤمنين.

وثالثها: أن الرجاء هنا بمعنى التوقع؛ لأن الراجي للشيء متوقع له، إلا أن أشرف أقسام التوقع هو الرجاء، فسمي الجنس باسم أشرف أنواعه.

ورابعها: أن في هذه الآية تنبيهاً على أن الحساب مع الله جانب الرجاء فيه أغلب من جانب الخوف؛ وذلك لأن للعبد حقاً على الله تعالى بحكم الوعد في جانب الثواب، ولله تعالى حق على العبد في جانب العقاب، والكريم قد يسقط حق نفسه، ولا

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٣١/ ١٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٥٨.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/ ١٦٨.

الحياة^(١).

ونظير الآيتين السابقتين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَبُذِّرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].

وقوله: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْعَةٍ إِنَّا غَيْرُ هَذَا أَبَدِلُهُ﴾ [يونس: ١٥].

قال الرازي: «إنَّ وصفهم بأنهم لا يرجون لقاء الله أريد به كونهم مكذبين بالحق والنشر، منكرين للبعث والقيامة، ثم في تقرير حسن هذه الاستعارة وجوه:

الأول: قال الأصم: لا يرجون لقاءنا، أي: لا يرجون في لقائنا خيراً على طاعة، فهم من السيئات أبعد أن يخافوها.

الثاني: قال القاضي: الرجاء لا يستعمل إلا في المنافع؛ لكنه قد يدل على المضار من بعض الوجوه؛ لأن من لا يرجو لقاء ما وعد ربه من الثواب، وهو القصد بالتكليف لا يخاف أيضاً ما يوعده به من العقاب، فصار ذلك كناية عن جحدهم للبعث والنشور.

واعلم أن كلام القاضي قريب من كلام الأصم، إلا أن البيان التام أن يقال: كل من كان مؤمناً بالبعث والنشور فإنه لا بد وأن يكون راجياً ثواب الله، وخائفاً من عقابه،

وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم، فلزم من نفي الرجاء نفي الإيمان بالبعث، فهذا هو الوجه في حسن هذه الاستعارة^(٢).

والمقصود: أن الكفار لا يرجون لقاء الله تعالى، ولا الدار الآخرة؛ ولهذا ركنوا إلى الدنيا، وأهملوا الآخرة؛ ولهذا أخبر عنهم الله أنهم رضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها.

ومعنى: رضوا بالحياة الدنيا أنهم لم يعملوا النظر في حياة أخرى أرقى وأبقى، لأن الرضا بالحياة الدنيا والافتناع بأنها كافية يصرف النظر عن أدلة الحياة الآخرة، وأهل الهدى يرون الحياة الدنيا حياة ناقصة، فيشعرون بتطلب حياة تكون أصفى من أقدارها، فلا يلبثون أن تطلع لهم أدلة وجودها، وناهيك بإخبار الصادق بها، ونصب الأدلة على تعيين حصولها، فلهذا جعل الرضا بالحياة الدنيا مذمة، وملقياً في مهواة الخسران.

وفي الآية إشارة إلى أن البهجة بالحياة الدنيا والرضا بها يكون مقدار التوغل فيهما بمقدار ما يصرف عن الاستعداد إلى الحياة الآخرة، وليس ذلك بمقتضى الإعراض عن الحياة الدنيا، فإن الله أنعم على عباده بنعم كثيرة فيها وجب الاعتراف بفضلها بها، وشكره عليها، والتعرف بها إلى مراتب أعلى هي مراتب حياة أخرى، والتزود لها، وفي

(١) تفسير الشعراوي ٩/ ٥٧٤٩.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٧/ ٢٢٤.

أساليب القرآن في الحديث عن الرجاء

تتنوع أساليب القرآن الكريم في الحث على الشيء المرغوب فيه، فتارةً بالأمر الصريح به، وتارةً بالنهي عن ضده، وتارةً بذكر ثوابه، ونجد هذا التنوع في الأسلوب في الحث على الرجاء، حيث جاء في القرآن على النحو الآتي:

أولاً: الأمر به:

من وسائل القرآن الكريم في الحث على الشيء الأمر به؛ إذ لا يأمر الله تعالى إلا بالأمر المحبوب إليه، المطلوب من العباد فعله؛ لحسنه عقلاً وشرعاً، وقد جاء الأمر بالرجاء في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُ عَبْدُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَارْتَجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

وهذا الأمر أقل أحواله التدب، وإن كان الأولى به ها هنا الوجوب؛ وبخاصة أنه اقترن بأمر أعظم، وهو عبادة الله تعالى، فقد أمر شعيب عليه السلام قومه بأمرين، هما: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦] ونهي واحد وهو: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

ومعناه كما قال السمعاني: «أي: واخشوا اليوم الآخر، وقيل: الرجاء ها هنا على

ذلك مقامات ودرجات بمقدار ما تهيأت له النفوس العالية من لذات الكمالات الروحية^(١).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٩٩/١١.

حقيقته، وهو الأمل»^(١).

وقال مقاتل: «يعني: واخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال»^(٢).

وقال أبو حيان: «والأمر بالرجاء أمر بفعل ما يترتب الرجاء عليه، أقام المسبب مقام السبب».

والمعنى: وافعلوا ما ترجون به الثواب من الله، أو يكون أمراً بالرجاء على تقدير تحصيل شرطه، وهو الإيمان بالله، وقال أبو

عبيدة: ﴿وَأَرْجُوا﴾، أي: خافوا جزاء اليوم الآخر من انتقام الله منكم إن لم تعبدوه، وتضمن الأمر بالعبادة والرجاء أنه إن لم يفعلوا ذلك وقع بهم العذاب؛ كذلك جاء: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ وجاءت ثمرة التكذيب، وهي: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾^(٣).

أو أنهم: أمروا بالرجاء، والمراد اشتراط ما يسوغه من الإيمان؛ كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط^(٤).

وقال أبو السعود: «أي: توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأهوال، وافعلوا اليوم من الأعمال ما تأمنون غائلته»^(٥).

وإنما قال شعيب بلفظ الرجاء؛ لأن عبادة

الله يرجى منها الخير في الدارين^(٦).

وهذا موافق لما جاء في الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)^(٧).

فالظن الحسن بالله يعني: الرجاء. قال ابن الجوزي في التعليق على هذا الحديث: «اعلم أن صدق رجاء المؤمن لفضل الله عز وجل وجوده يوجب حسن الظن به، وليس حسن الظن به ما يعتقده الجهال من الرجاء مع الإصرار على المعاصي»^(٨).

وقال النووي: «قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف

(٦) مراح لبيد، الجاوي ٢/ ٢١٧.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، ١٢١/٩، رقم ٧٤٠٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، ٢٠٦١/٤، رقم ٢٦٧٥.

(٨) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ٣٢٣.

(١) تفسير القرآن ٤/ ١٨٠.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٣٨٢.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان ٨/ ٣٥٦.

(٤) السراج المنير، الشربيني ٣/ ١٤٠.

(٥) إرشاد العقل السليم ٧/ ٣٩.

هَاجِرُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون، وأنه من رجاء طلب، ومن خاف هرب^(٢).

وقال ابن عثيمين: «والرجاء: الطمع في حصول ما هو قريب، ومعلوم أن الطمع بما هو قريب لا يكون قريباً إلا بفعل ما يكون قريباً به، وهؤلاء فعلوا ما تكون الرحمة قريبة منهم، والذي فعلوه: الإيمان والهجرة والجهاد، فإذا لم يرج هؤلاء رحمة الله فمن الذي يرجوها؟ فهؤلاء هم أهل الرجاء، فالرجاء لا بد له من أسباب، وحسن الظن لا بد له من أسباب»^(٣).

والمقصود: أنه مدح أهل الرجاء، مما يدل على فضل الرجاء، والحث عليه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾، وكرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد، كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء، ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأن العمل غير موجب، ولا قاطع في الدلالة، سيما والعبرة بالخواتيم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما فعلوا خطأ، وقلة احتياط ﴿رَحِيمٌ﴾ بإجزال الأجر

(٢) جامع البيان، الطبري ٤/ ٣٢٠.

(٣) تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، الفاتحة والبقرة ٣/ ٦٤.

أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له^(١).

والمقصود: أن من أساليب القرآن في الحث على الرجاء الأمر به، كما في قوله: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، وهذا الأسلوب من أقوى أساليب الحث على الشيء، إذ هو أمر صريح به.

ثانياً: الثناء على فاعله:

ومن وسائل القرآن الكريم في الحث على الشيء الثناء على فاعله، والقائم به، وقد حث الله تعالى في القرآن الكريم على أهل الرجاء، الراجين للقاء الله، وحسن ثوابه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فمن قتادة قال: «أثنى الله على أصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/ ٢١٠.

والثواب^(١).

ومما يدل على مدح أهل الرجاء قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فهؤلاء جمعوا بين رجاء رحمته، ومخافة عذابه، وهذا هو الرجاء المحمود الذي يكون مع العمل، وبذل الأسباب.

ثالثاً: ذم تاركه:

ومن وسائل القرآن الكريم في الحث على الشيء ذم تاركه؛ فقد ذم القرآن الكريم الذين لا يرجون الحساب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبا: ٢٧].

وهذا خبر عن أصحاب النار بأن من صفاتهم أنهم كانوا في الدنيا لا يرجون الحساب.

ونظير الآية السابقة قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠].

قال في الكشف: «بَلْ كَانُوا» قوماً كفرّة بالبعث، لا يتوقعون ﴿شُورًا﴾ وعاقبة، فوضع الرجاء موضع التوقع؛ لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن، فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا، ومروا بها كما مرت ركابهم، أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون لطمعهم

في الوصول إلى ثواب أعمالهم، أو لا يخافون، على اللغة التهامية^(٢).

رابعاً: النهي عن ضده:

ومن وسائل القرآن الكريم في الحث على الشيء النهي عن ضده، فقد نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن اليأس والقنوط، الذين هما نقيض الرجاء والأمل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِن زَوْجِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِشُ مِن زَوْجِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

والقاعدة: أن النهي عن الشيء أمر بضده^(٣).

و﴿زَوْجِ اللَّهِ﴾ المراد به: رحمته وفرجه، وتيسيره ولطفه في جمع الشتات، وتيسير المراد، ثم علل هذا النهي بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُ﴾، أي: لا يقنط ﴿مِن زَوْجِ اللَّهِ﴾، أي: الذي له جميع صفات الجلال والإكرام ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، عياداً بالله من سلوك سبيلهم، ومشابهة أحوالهم.

والمقصود: أن في قوله: ﴿وَلَا تَأْسَوْا﴾، وقوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، نهين عن القنوط واليأس، يقتضيان الأمر بضدهما،

(٢) الكشف، الزمخشري ٢٨١/٣.

(٣) انظر: الفصول في الأصول، الجصاص ١٠١/٢.

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي ١/١٣٧.

وهو الرجاء والأمل.

خامسًا: اقتران الرجاء بالخوف:

ومن وسائل القرآن الكريم في الحث على الشيء، والترغيب فيه، والدعوة إليه، قرنه بشيء مأمور به، ومرغب فيه، وعطفه عليه.

ومن هذا قرن الرجاء بالخوف الذي هو مطلوب، ومأمور به، قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وهذا في سياق مدح عباد الله الصالحين أنهم جمعوا بين رجاء ما عند الله من الثواب، والخوف من العذاب، فلما قرن بين هاتين الصفتين دل على الحث عليهما، والدعوة إليهما، بحيث يكون حال العبد بين الخوف والرجاء، الخوف من عقاب الله وانتقامه، ورجاء عفوه ورحمته وفضله.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ﴾ [الزمر: ٩].

فالحذر هو الخوف.

ونظيره أيضًا قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالرغبة في الدعاء والرهبة كلاهما مطلوب، بدلالة الجمع بينهما في سياق المدح.

سادسًا: الاستفهام:

ومن وسائل القرآن الكريم في الحث على الشيء المحبوب إلى الله، والترغيب فيه، والدعوة إليه، الإنكار على عدم فعله، والاستفهام والتعجب من تركه.

كما قال الله تعالى: ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

فقوله: ﴿مَالَكُمْ﴾ استفهام وتعجب، والمعنى: كيف لا ترجون لله وقارًا وهو خالقكم ورازقكم، ومحبيكم ومميتكم، وإليه معادكم؟

فلماذا لا ترجونه وتعظمونه وتوقرونه، وقد دل العقل والشرع على استحقاقه التوقير والتعظيم، لما له من عظمة وكبرياء، ولما له من فضل وإنعام.

فهذا الاستفهام والإنكار عليهم تركهم للرجاء، يدل على الحث عليه، والأمر به؛ إذ لا ينكر الله عليهم إلا ترك ما ينبغي عليهم فعله، والقيام به.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنشاق: ٢٠].

وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٧٨].

قال السعدي: «أي: لا يفهمون حديثًا بالكلية، ولا يقربون من فهمه، أو لا يفهمون منه إلا فهمًا ضعيفًا، وعلى كل فهو ذم لهم وتوبيخ على عدم فهمهم وفقهم عن

وسائل تحقيق المرجو

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم بعض الوسائل لتحقيق المرجو، منها:
أولاً: العمل الصالح:

من وسائل تحقيق المرجو العمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فمن كان يرجو لقاء الله وثوابه ورضوانه وجنته فليعمل، ولا يكتفي بالرجاء المجرد عن العمل، فإن الرجاء الخالي عن العمل عجز وضعف، وأمان باطلة، ولهذا جاء في حديث شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله) (٢).

ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا شرط، ولا يتحقق الشرط إلا

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٥٠/٢٨، ١٧١٢٣، الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ٦٣٨/٤، رقم ٢٤٥٩، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ١٤٢٣/٢، رقم ٤٢٦٠.

قال الترمذي: هذا حديث حسن. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ص ٦٢٥، رقم ٤٣٠٥.

الله وعن رسوله، وذلك بسبب كفرهم وإعراضهم.

وفي ضمن ذلك مدح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على ذلك، من الإقبال على كلامهما وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليه، فلو فقهوا عن الله لعلموا أن الخير والشر، والحسنات والسيئات، كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك، وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يكونون سبباً لشر يحدث، هم ولا ما جاءوا به، لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا والآخرة والدين» (١).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٨٩.

بوجود المشروط.

وشرط العمل أن يكون صالحًا، لا أي عمل، والعمل الصالح هو العمل الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، وقد وضع العلماء له شرطين:

١. أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى.

٢. أن يكون متبعًا به سنة رسول الله، وهو ما عبر عنه بقوله تعالى: ﴿يَسْلَوُكُمْ إِلَيْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وهو أخلصه أصوبه^(١).

فالعمل الصالح شامل لأفعال الخير كلها الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده الواجبة والمستحبة.

والمقصود: أن من أعظم الوسائل التي يتوصل بها إلى تحقيق المرجو والمطلوب، العمل الدؤوب للوصول للهدف المطلوب، وهذه قاعدة ثابتة ليست في أمور الآخرة فقط، بل هي حتى في أمور الدنيا، فمن رجا شيئًا سعى إليه، وجد في طلبه، وإلا فقد فرط في الطريق الصحيح للوصول إليه، فمن رجا ولدًا سعى في الزواج، ومن رجا زرعًا زرع وسقى وتعب وجد واجتهد، ومن رجا مالًا سعى في طلبه في العمل، وبذل الجهد.

وأعظم مرجو على الإطلاق هو الحصول على رضوان الله وجنته، ولهذا لا بد أن يكون السعي إليه وطلبه عظيم، لا تواني فيه،

ولا تكاسل ولا تردد.

ثانيًا: ترك المناهي:

ومن وسائل الحصول على المرجو ترك المناهي، وأعظمها الشرك بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وما يرجوه المؤمن هو دخول الجنة، ومعلوم أنها محرمة على أهل الشرك، لهذا كان ترك الشرك من أعظم الوسائل لتحقيق المرجو الأخروي، وهو رضوان الله، ودخول جنته.

والشرك يشتمل الأكبر والأصغر، ويشمل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أيضًا ترك الرياء.

فيكون معنى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، أي: لا يرائي بعمله، بل يعمله خالصًا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك فإنه خاسر في دنياه وآخره، وقد فاتته القرب من مولاه، ونيل رضاه^(٢).

وهكذا من يرجو النجاة من عقاب الله عليه أن يترك عموم المعاصي والسيئات، وإلا كان رجاؤه خائبًا، إذ كيف ينجو من

(١) تفسير التستري ص ١٧٢.

(٢) تفسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٨٩.

العقاب وهو قد فعل كل الأعمال التي يستحق بها العبد عقاب الله وعذابه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿٦١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

المقصود: أن من وسائل تحقيق المرجو -وأعظمه الفوز في الآخرة- اجتناب المعاصي، وأعظمها الشرك بالله الذي لا رجاء لمن أتى ربه مشركاً به غيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧٤].

ثالثاً: الدعاء:

ومن وسائل تحقيق المرجو الدعاء، فالدعاء من أعظم الأسباب في حصول ما يرجوه الإنسان ويتمناه من الفوز في الدنيا والآخرة، وانظر إلى دعاء يعقوب عليه السلام لما كان قلبه معلقاً بابنه، وكان يرجو عودته إليه مرة أخرى، لم يفقد الأمل في ذلك، بل كان راجياً من الله عودة ابنه إليه، ولهذا استعان على ذلك بالدعاء.

قال الله تعالى: ﴿فَصَبِّرْ بِحَبْلٍ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

الذي يعلم حاجته، وهذا دعاء، ورغبة إلى الله، ولجوء إليه، فبالدعاء تتحقق جميع المطلوبات والرغبات والرجاءات.

فحقق الله ما رجاءه من عودة ابنه إليه بعد طول السنين والأعوام، قال السعدي في قوله: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]: فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاءه، والإيأس: يوجب له الشاغل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تشبهوا بالكافرين، ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاءه لرحمة الله وروحه ^(١).

والمقصود: أن من أعظم وسائل الحصول على ما يرجوه العبد من خيرات الدنيا والآخرة الدعاء، ومما يبين ذلك قول أصحاب الجنة: ﴿عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُدْخِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ هذا رجاء ﴿إِنَّا لَمِنْ رَّبِّنَا رَغَبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].

قال مقاتل بن سليمان: «في الدعاء إليه» ^(٢).

رابعاً: الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم:

ومن أعظم الوسائل التي يحقق المسلم بها ما يرجوه في الآخرة الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وإلا فأنى له تحقيق ما

(١) المصدر السابق ص ٤٠٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٤٠٧.

آثار الرجاء

الرجاء عبادة قلبية عظيمة؛ لها آثار جليلة، وفوائد كبيرة، وثمار عديدة، تعود على العبد في حياته، وبعد مماته، ومن هذه الثمار والآثار:

أولاً: زيادة الإيمان:

من آثار الرجاء زيادة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَيَّ رِيَهُمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

﴿يَبْتَغُونَ إِلَيَّ رِيَهُمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، أي: يتنافسون في القرب من ربهم، ويبدلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة، المقربة إلى الله تعالى، وإلى رحمته، ويخافون عذابه، فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾، أي: هو الذي ينبغي شدة الحذر منه، والتوقي من أسبابه.

وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده، هي الأصل والمادة في كل خير، فمن تمت له تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات، وأحاطت به الشرور. وعلامة المحبة ما ذكره الله: أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله، والنصح

يرجو من الفوز والنجاة، وهو بعيد عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢١].

ونظيرها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَقِيءُ الْحَمِيدُ ۝﴾ [المستحقة: ٦].

إذ أنه لا طريق موصل إلى الله إلا عن طريقه صلى الله عليه وسلم فهو المبلغ عن الله بأقواله وأفعاله وهديه وخلقه، وكثير من الناس يظنون أنهم على خير، وأنهم سالكون الطريق المستقيم، الموصول إلى الله، والدار الآخرة، وهم بعيدون عن سنة رسول الله، بل محاربون لها، مبغضون لأهلها، مبتدعون طرقاً غيرها، ثم يرجون ويتمنون الأمان، فأني لهم الرجاء؟ وكيف لهم النجاة؟ وهم ما عرفوا هديه ولا استقاموا على شريعته، وما استضاءوا بنوره!

ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۝﴾ [الأحزاب: ٢١].

فمن كان يرجو لقاء الله والدار الآخرة فليقتد بالرسول صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله، هذا هو الطريق الصحيح الموصل إلى ما يرجوه المسلم.

فيها، وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب^(١).

والمقصود: أن الرجاء عمل قلبي، وعبادة عظيمة، وقد مدح الله صاحبه بقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ إِذْ آتَاهُ الْبَلَّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِذَا الْأَلْتَبِ ۝١﴾ [الزمر: ٩].

فأثبت للراجي العلم، والعلم سبب في زيادة الإيمان، والعلماء هم أكثر الناس خشيةً لربهم سبحانه وتعالى، وإيماناً به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال السعدي: «هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت، أي: مطيع لله بأفضل العبادات، وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن»^(٢).

ثانياً: الحث على العمل:

ومن آثار الرجاء الحث على العمل، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فمن ثمار الرجاء أنه يحث على العمل والبذل من أجل تحقيق المرجو، سواء كان مما يتعلق بأمور الدنيا، أو بأمور الآخرة، فمن رجا شيئاً سعى إليه، وبذل كل ما في وسعه للوصول إليه.

وانظر في قصة نبي الله يعقوب عليه السلام لما كان يرجو عودة ابنه يوسف عليه السلام كيف أمر أولاده بالسعي والبحث والتحسس من يوسف، ولم يياس، بل قال لهم: ﴿يَبْنَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ زَوْجِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ زَوْجِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

والمقصود: أن الرجاء أعظم حادٍ يحدو إلى العمل، ويدفع إلى البذل، فليس الراجي كاليائس، فلو ياس يعقوب عليه السلام لما أمرهم بالذهاب ولا البحث ولا التحسس. وهكذا في أمور الآخرة، فإن الرجاء في الحصول عليها يحدو إلى العمل، بل هي أشد من أمور الدنيا، ففي الدنيا ربما يحصل الإنسان على ما يرجو بغير عمل، بالوساطة مثلاً، أو بالرشوة، أو بالاحتيال، أما الرجاء فيما عند الله في الآخرة من الفضل والرضوان والرحمة والعفو، فإنه لا

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٦١.

(٢) المصدر السابق ص ٧٢٠.

وفي قضية ميؤوس منها، إنه الموت، ليس بعده عودة إلى الدنيا، وقد جاءوا على قميصه بدم كذب، فانتهت القضية، وانتهت معالمها، وغطاها غبار النسيان، إلا أنه لم ييأس، ولم يفقد الأمل.

فياله من رجاء! وياله من أمل! ما أوسعها! هكذا كان الأنبياء أوسع الناس رجاء، وأوسعهم أملاً، وأبعدهم يأساً وقنوطاً؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ ذَرَجِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ولهذا جاء في سياق القصة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْغِيَا إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ، شَمَّ يَعْقُوبُ رِيحَ الْقَمِيصِ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي لِأَجِدَ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَقْتَدُونَ﴾﴾ [يوسف: ٩٤]، أي: تسخرون مني، وتزعمون أن هذا الكلام صدر مني من غير شعور؛ لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ما أوجب له هذا القول.

فوقع ما ظنه بهم فقالوا: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ [يوسف: ٩٥]، أي: لا تزال تائها في بحر الحب، لا تدري ما تقول، حيث كنت مترجياً للقاء يوسف، مترقباً لزوال الهم والغم والحزن^(١).

وانظر أيضاً إلى قصة أصحاب الجنة، كيف حداهم الرجاء بما عند الله أن صبروا على ما أصابهم من هلاك جنتهم، حيث

يكون إلا بالعمل والبذل والطاعة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالعامل الصالح يعد وسيلة لتحقيق الرجاء، وثمرة له في نفس الوقت، وسيلة من حيث أنه لا رجاء مأمولاً إلا بالعمل والبذل والسعي له، وثمرة من ثمار الرجاء من حيث أن الرجاء دافع وحادي يحدد إلى العمل.

ثالثاً: الصبر:

ومن آثار الرجاء الصبر، فالراجون لما عند الله يوم القيامة من الأجر والثواب، هم أكثر الناس صبراً؛ لما يصيبهم في الدنيا من اللأواء والبلاء والمصائب؛ ولهذا لما كان يعقوب يرجو من الله ثواب مصيئته، وعودة ابنه، قال: ﴿فَصَبِّرْ بِيَمِينٍ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

والناظر في قصة يعقوب عليه السلام هذه يلحظ أنه بدأ بالبعيد زمناً ورجاء، الذي هو يوسف، الذي أكله الذئب - حسب زعمهم - من سنين طويلة، فرجاء عودة الميت مستبعدة، ثم ذكر القريب، وهو أخوه بنيامين، فقال: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧].

وهذا يدل على عظيم رجائه في عودته إليه، وعدم اليأس، فلم يفقد الأمل من عودة يوسف مع تعاقب السنين، ومرور الأعوام،

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٠٥.

قالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَٰك رَبِّنَا
رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].

راغبون في الأجر، راغبون في العوض،
راغبون في العفو.

موضوعات ذات صلة:

الإيمان، التقوى، الخشية، الخوف